المال ودوره فى الدعوة العباسية
(٩٨ – ١٣٢ هـ / ٧١٨ – ٧٤٩ م)

د. أحمد محمد عبد المقصود أحمد*

المستخلص

للدول عند قيامها عدد من العوامل التي تساعد على نشأتها و من بين هذه العوامل المال الذي لا غنى عنه إذ أنه الوسيلة التي يتحقق بها كل متطلبات الانسان من مأكل و مشرب و ملبس و أيضا مسكن كذلك يحقق به كل وسائل الأمن و الدفاع و بدون المال لا يستطيع الانسان المعايشة و التداخل و التفاعل و التأثير و التأثر بينه و بين غيره من أفراد المجتمع سواء الخاص أم العام و الانسان هو صورة مصغرة للدولة ، فالدولة بدون المال لا تستطيع القيام بمهمتها الاساسية من توفير احتياجات الرعية في جميع نواحي الحياة و عليه فإن المال يعد عصب الحياة الذي بدونه تتنقل الإشارات و الأفعال و التأثيرات بين أجزاء الدولة الواحدة و ليس المال هو عصب الدولة القائمة فحسب بل انه المستند الأساسي الذي عليه تقوم الدول.

الكلمات المفتاحية: المال – الدعوة العباسية – السياسة المالية – الدولة الاموية – الدعاة العباسيين.

Money and its positive and negative impact during the Abbasid call

Dr. Ahmed Mohammed Abdel maqsoud Ahmed

Abstract

For states, when they are established, there are a number of factors that help their establishment, and among these factors is money, which is indispensable, as it is the means by which all human requirements are fulfilled, including food, drink, clothing, and also housing. Man can coexist, overlap, interact, influence and be influenced by himself and other members of society, whether private or public, and man is a microcosm of the state. The nerve of life without which signals, actions and influences move between the parts of a single state, and money is not only the backbone of the existing state, but it is the basic document upon which states are built .

Keywords: The money - Abbasid call - financial policy - Umayyad state - Abbasid preachers

مقدمة

يعد المال أحد المقومات الأساسية التى تقوم عليها حياة الإنسان سواء أكان فرد أم مجتمع وذلك على جميع المستويات السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية.. فكما يقال أن المال هو عصب الإقتصاد كما يقال فإن الإقتصاد هو عماد الدولة بل إن الدول تقاس قوتها بقوة اقتصادها وعليه فإن المال والسلطان شريكان لا يفترقان بل يؤثر أحدهما فى الآخر فإذا ما انتعش أحدهما أو ضعف انعكس ذلك على الثانى ، فكما يقال أن رأس المال جبان ولا يقوى إلا بقوة السلطان وكذلك السلطان يظل ضعيفا إذا ما ضعف المال ، ولا يقوى المال ويزداد لكي يقوى السلطان إلا عن طريق الدورة الطبيعية لحركة المال داخل الدولة وهي حركة أو عملية تبادلية ما بين الفرد والدولة فإذا ما أدى الفرد ما عليه من حقوق مالية لدولته كان حقا على تلك الدولة أن تقدم للفرد الذي يعيش بداخلها جميع الخدمات والتسهيلات التي تيسر عليه القيام بعملياته التجارية فتقوى الدولة بذلك ويزدهر اقتصادها.

و كما يقال : " المال قوة السلطان و عماد المملكة و مادة الملك و المال أقوى العدة على العدو ، و هو ذخيرة الملك ، و حياة الأرض ، و من حقه أن يؤخذ من حقه و يوضع في حقه ، و يمنع

◆ دكتوراة في التاريخ الإسلامي – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية .

من سرف و لا يؤخذ من الرعية إلا ما فضل عن معايشها و مصالحها ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود عليها النفع "[1].

والتاريخ الإنساني عامة والإسلامي خاصة سجل لنا العديد من ترابط المال والسلطان الذي انعكس إيجابًا أو سلبًا على مختلف الدول والأمثلة على ذلك كثيرة وسوف نركز جهدنا على دور المال ليس بعد قيام الدول لا بل قبلها بمعنى أننا سوف نركز على أثر المال فى قيام الدول وسوف نخص الدولة العباسية ودور المال فى قيامها أي فى الفترة الدعوية بمرحلتيها السرية والعلنية حيث شغلت المرحلة السرية منها ما بين عامى ٩٨ – ١٢٨ هـ / ٧١٦ – ٧٤٥ م ومرحلة الدعوة العلنية من ١٢٩-١٣٢هـ/٧٤٦-٧٤٩ م وكيف أنفق الدعاة مالهم فى سبيل إعلاء قضية آل البيت ممثلا فى البيت العباسى وكيف استفاد هؤلاء الدعاه من السياسة المالية الجائرة للدولة الاموية تجاه رعاياها في المشرق والمغرب ، وقبل الدخول في تفاصيل بحثنا هذا يجب أولا تعريف المال لغة واصطلاحًا .

أولا التعريف اللغوى

جاء تعريف المال فى الكتب اللغوية على أنه : هو من الفعل مول ، ذو أصل ثلاثي؛ من الميم والواو واللام، ويصرف على مال، يمول، مولاً، ومؤولاً؛ أي كثر ماله ، ويجمع _ أموال ؛ وهو ما يملكه الإنسان، وتصغيره مويل، فتمول الرجل؛ أي اتخذ مالا[2] .

ثانيا التعريف الاصطلاحي

أما المال في الاصطلاح فقد جاء تعريفه في كتب اللغويين أيضًا بأنه: " كل ما يقتنى ويحوزه الإنسان من أشياء ذات قيمة؛ سواء كان عينًا أم منفعة؛ كالذهب والفضة والإبل والأنعام، وكل ما يخرج من الأرض، أو منافع من عقار وغيره "[3] .

---

(١) الطرطوشي : أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف : سراج الملوك : تحقيق جعفر البياتي ، لندن ، ١٩٩٠م ص ٣٦٩ ؛ عبد اللطيف حسني : المال و السلطان من أجل ترشيد مالية الدولة السلطانية ، مقال بمجلة الإجتهاد ، العددان ٣٤ – ٣٥ ، السنة التاسعة ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢٨٧ – ٢٨٨ .

(٢) ابن فارس : أبى الحسن أحمد بن زكريا : مقاييس اللغة ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠١ م ، ص ٩٣٤ ؛ ابن منظور : أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى الخرجى المصرى : لسان العرب : تحقيق عبد العظيم الشناوى ، دار المعارف ، القاهرة ، (د . ط . ت) ، ج ٤٨ ، ص ٤٣٠٠ .

(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ج٤٨ ، ص ٤٣٠٠ ؛ البعلى : الإمام أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي : المصطلح على أبواب المقنع : المكتب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ م ، ص ١٢٢ : ١٤٠ ؛ نزيه حماد : معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء : دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ط١ ، ص ٣٨٩ .

ثالثا التعريف الفقهي

شرط الفقهاء في تعريفهم للمال حتى يكون مالاً بانه :

١- أن يمكن إحرازه وحيازته [٤].

٢- أن يمكن الانتفاع به انتفاعًا شرعيًا معتادًا ، فإن لم يكن إحراز الشيء ولا حيازته كالهواء والعلم وغيرهما من الأمور المعنوية لا يسمى مالاً شرعًا[٥] .

وفي اصطلاح الحنفية : " ما يميل إليه الطبع، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة [٦] ، ويجرى فيه البذل والمنع " [٧] . كما عرفوه بأنه: " اسم لما هو مخلوق لإقامة مصالحنا به، ولكن باعتبار صفة التمول ، والإحراز " [٨] .

وفي تعريف آخر : " المال اسم لغير الآدمي، خلق لمصالح الآدمى، وأمكن إحرازه، والتصرف فيه على وجه الاختيار " [٩] .

وفي تعريف آخر: (كل عين ذات قيمة مادية بين الناس) .

وجمهور الفقهاء يوافقون الحنفية في تعريفهم للمال إلا فى أمر الادخار .

فعند المالكية المال : (كل ما يملك شرعًا، ولو قل) [١٠] .

وعند الحنابلة : (ما فيه منفعة مباحة لغير حاجة أو ضرورة) [١١] .

وأما المال فهي تثبت بتموّل الناس كافة أو بعضهم، وبعبارة أخرى : بتقييم الناس حيث أن يكون الشيء ذا قيمة مادية بين الناس، ويحل الشارع الانتفاع به . فتعريف الحنفية له القيود التالية :

١- إخراج كل ما ينفر منه الطبع كالميتة والدم .

٢- اعتبار المنفعة ملك لا مال .

٣- وجود الأدخار، والإحراز .

٤- جريان البذل والمنع فيه [١٢].

رابعاً التعريف الاقتصادي الحديث

عرّف الاقتصاديون المال بأنه : كل ما يستطيع أن ينتفع به الإنسان فى كافة أوجه النفع ، وكل ما يقدر بثمن ؛ فكل شيء يعرض فى السوق له قيمة فهو مال [١٣] .

وعليه فإن المال ليس فقط قاصرًا على العملة النقدية بل يتعدى إلى كل وسيلة يتم بها تبادل المنافع سواء الخاصة أم العامة .

---

(٤) المعجم الوسيط : إخراج إبراهيم أنيس وآخرون ، إشراف حسن على عطية ومحمد شوقى أمين ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ج١ ، ص ٤٢٩ .

(٥) محمد رأفت سعيد : المال ملكيته واستثماره وإنفاقه : دار الوفاء ، ٢٠٠٢ م ، ط١ ، ص ٢٣ .

(٦) المعجم الوسيط : ، ط٢ ، ج١ ، ص ٦٤٢.

(٧) الحفصكى : محمد علاء الدين : الدر المختار : دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ ، ط٢ ، ج٥ ، ص ٥٠ ؛ أحمد الحجى الكردى : فقه المعاوضات : نشر جامعة دمشق ،٢٠١٦،ص ١٨٩ .

(٨) السيواسى : كمال الدين محمد بن عبد الواحد : شرح فتح القدير : دار الفكر ، بيروت ، (د . ت) ، ط٢ ، ج٧ ، ص١٢٠ .

(٩) الإمام شمس الدين السرخسى : المبسوط : دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٩-١٩٨٩ ، ط ١ ،ج١١ ، ص ٧٨ .

(١٠) على الصعيدى المالكى : حاشية العدوى : دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢ هـ ، ج٢ ، ص ٥٤١ .

(١١) المرداوى على بن سليمان : الإنصاف : دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، (د . ت) ، ج٤ ، ص ٢٤٠ .

(١٢) عامر محمد نزار جلعوط : فقه الموارد العامة لبيت المال : دار أبى الفداء العالمية ، حماة ، سوريا ، ، ٢٠١٠ ،ص٣٦-٣٧ .

(١٣) مبارك ابن سليمان : أحكام التعامل فى الأسواق المالية المعاصرة ، كنوز إشبيليا ، الرياض ، ٢٠٠٥ ، ط١ ، ج١ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

كيفية انتقال الدعوة من البيت العلوي إلى البيت العباسي

رأى الفرع العباسي من آل البيت النبوي أن أولاد عمومتهم العلويين على الرغم من تاريخ مسيرتهم الطويل ، والتي بدأت من (٤١هـ حتى عام ٩٨ هـ / ٦٦١ – ٧١٨ م) لم يحققوا أي شيء ملموس على أرض الواقع ، على الرغم من التضحيات الكبيرة التي قدموها في صراعهم ضد الخلافة الأموية ، والتي كانت أكثر تنظيمًا من غيرها من الأحزاب المناوئة لها ؛ لذا آل الفرع العباسي أن يتولى أمر المطالبة بأحقيتهم في الخلافة .

وقد بدأ التخطيط بوفاة رأس البيت العلوي أبي هاشم بن محمد بن الحنفية[١٤] ابن عليّ بن أبي طالب الذي لم يخلف له عقب يرثه على رأس البيت العلوي ، وهنا شعر العباسيون وعلى رأسهم محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس أن الفرصة قد واتتهم ، فأعلنوا أن الإمام أبا هاشم قد تنازل عن حق البيت العلوي في المطالبة بالخلافة إلى محمد بن عليّ رأس البيت العباسي[١٥] ؛ وهذه الوصية ،سواء أكانت صادقة أم كاذبة، فقد أشاعها العباسيون بين آل البيت ؛ ليضفوا على البيت العباسي الشرعية في المطالبة بالخلافة بدلا من البيت العلوي ، وأيًا ما كان الأمر فإن محمد بن عليّ قد بدأ على الفور يضع خطة دعائية حرص فيها على إخفاء أطماع العباسيين في الخلافة ، فلم تكن البيعة تؤخذ بأسم العباسيين ، بل تحت هذا الستار البراق المبهم " الرضا من آل محمد " يعني لشخص معين من آل البيت يتفق عليه فيما بعد ، وكذلك سموا أنفسهم بالهاشميين ، وهي كلمة عامة تطلق على الشيعة عامة من آل البيت ، وكيفما كان الأمر فقد كانت خراسان[١٦] المكان المنوط بالدعاية العباسية التي كان مصدرها يرجع إلى إمام العباسيين الذي كان مقره مدينة الحميمية[١٧] .

---

(١٤) الإمام أبا هاشم بن محمد بن الحنفية : سمي بابن الحنفية ؛ لأن أمه خولة بنت قيس بن جعفر الحنفي ، كانت من عرب بني حنفية وهم فرع من بكر بن وائل العدنانية ، وكانت منازل بني حنفية في اليمامة ، وأبو هاشم عبد الله هذا هو ابن الإمام محمد بن عليّ بن أبي طالب الذى ادعت فرقة الكيسانية الشيعية المتطرفة أنه هو الإمام المهدى المنتظر ، فلما مات بالمدينة فى محرم سنة ٨١ هـ قالوا أنه لم يمت وأنه مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة ، وأنه الإمام المنتظر الذى بشر به النبي ﷺ ، وأنه الذى سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، ولكن هناك فرقة أخرى قالت أن محمد بن الحنفية مات وأن الإمام بعده ابنه عبد الله ، وكان يكنى أبا هاشم ، والذى ادعت عنه العباسية أنه قد تنازل عنه للخلافة .
النوبختي : ابن محمد الحسن بن موسى النوبختى ، ت ٣١٠ هـ :فرق الشيعة : صححه وعلق عليه محمد صادق آل بحر العلوم ، طبع بالمطبعة العيدرية ، النجف سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ، ص ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٠ . ؛ أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٧م ، ص ١٩ .؛ نبيلة حسن محمد : فى تاريخ الدولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ، ١٩٩١م ، ص ٦٢.

(١٥) مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ، وفيه أخبار العباس وولده ، تحقيق : عبد العزيز الدورى ، عبد الجبار المطلبى ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١م ، ص ٦٥

(١٦) خراسان : كلمة خراسان فى اللغة الفارسية القديمة كانت تطلق على " البلاد الشرقية " بشكل عام ، واستمرت = هذه التسمية حتى أوائل القرن الرابع الهجرى ، أما الجغرافيون العرب فقد أطلقوا كلمة خراسان بوجه عام على جميع الأقاليم الإسلامية فى شرق فارس وبلاد ما وراء النهر .
دائرة المعارف الإسلامية الصادرة باللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية ، ترجمة أحمد الشنشناوي ، إبراهيم زكى خورشيد ، عبد الحميد يونس ، مراجعة محمد مهدي علام ، ١٩٣٣م ، ج ٨ ، ص ٢٨٢

(١٧) الحميمية : بضم الحاء وفتح الميم وياء ساكنة وميم وهاء كأنه تصغير الحمة الأول قرية بأطراف الشام بالشراة من أرض دمشق بالبلقاء كان منزل بنى العباس بن عبد المطلب فى أيام بنى أمية .
ياقوت الحموى ، الإمام شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموى : كتاب المشترك وضعا والمفترق صقعا ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م ، ص ١٤٦.

الدعوة العباسية :

أنشأ العباسيون جهازًا دعائيًا سريًا بدرجة عالية من الكفاءة والذكاء ، تنم عن عبقرية فذة في الترتيب والتنظيم ، استفادت منها التجارب الدعائية الأخرى التي قامت خلال التاريخ الإسلامي مثل : الدعاية للقرامطة في المشرق والفاطميين في بلاد المغرب ، وكان ذلك الجهاز الدعائي العباسي مبدأه الأول هو السرية المطلقة ، ويرجع ذلك إلى استفادة البيت العباسي مما حدث لآل البيت العلوي من كوارث منذ مقتل الحسين بن عليّ عام ٦١ هـ / ٦٨١ م، وقد صار ذلك الجهاز على نهج دعائي ، وضع خطته أئمة البيت العباسي وهو كما يلي :

أ - الهيكل الوظيفي وثقافة رجاله (١٨):

جاء التنظيم الهيكلي للجهاز السري العباسي على أربع مراتب :

١- فالإمام العباسي على رأس هذا الجهاز، والذي لم تكن شخصيته معروفة لدى الجميع ؛ حيث أخفى الدعاة العباسيين اسم الإمام ، وذلك لما علموه في أن إظهار اسمه إنما يعرض حياته للخطر من جانب رجال الدولة الأموية ، وكان من أول الأوامر الصادرة إلى رجال الجهاز السري الدعوة إلى الرضا من آل محمد عامة ، دون تحديد شخصية الإمام الذي لم يكن يعرفه إلا عدد قليل من الدعاة المقربين ، كما أمروا أن يجيبوا كل من يسأل عن اسم الإمام بأن يقولوا : " أمرنا بكتمان اسمه حتى يظهر "[١٩].

كما وجه **محمد بن عليّ** بن عبد الله العباس والذى يعد أول منظم للدعوة االسرية أوامره إلى رجال الجهاز الدعائي المتجهين إلى خراسان بقوله : " وليكن اسمي مستورًا عن كل أحد إلا عن رجل عدلك في نفسك في ثقتك به ، وقد وكدت عليه وتوثقت منه وأخذ بيعته وتقدم بمثل ذلك إلى من توجه من رسلك ، فإن سئلتم عن اسمي فقولوا نحن في تقيه وقد أمرنا بكتمان اسم إمامنا "[٢٠].

٢- أما المرتبة الثانية فهي مرتبة الدعاة الذين كانوا على علم بشخصية الإمام أو ما كان يعرف اصطلاحًا بإمام الوقت وكان هؤلاء الدعاة ينقسمون ما بين العراق وخراسان ولعل من أشهر دعاة العراق : ميسرة العبدي ١٠٢- ١٠٥ هـ ، بكير بن ماهان ، وأبا سلمة الخلال الذي عرف بوزير آل محمد ، أما دعاة خراسان : فمن أشهرهم أبو عكرمة السراج مولي ابن عباس رضوان الله عليه وحرب بن عثمان وكثير الكوفي وخداش وسليمان بن كثير وأبو مسلم الخراساني .

٣- أما المرتبة الثالثة فهي مرتبة النقباء ، وقد تألفت من عدة مجموعات دعائية ، المجموعة تتكون من اثنى عشر نقيبًا تابعين لداعٍ واحد ، وكان هؤلاء النقباء يتمتعون بقدرات عسكرية ودعائية ، ولم يكونوا على علم بإمام الوقت .

---

(١٨) لمزيد من المعلومات عن الجهاز الدعائى وهيكله يمكن الرجوع إلى :
أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص ٢٢ ؛
محمد منير حجاب : الدعاية السياسية وتطبيقاتها قديما وحديثا فى العصر الأموى ، دار االفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة . ١٩٩٨ ، ص ١٢٢ ؛
حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، د . ت ، ط ٥ ، ص ١٥.

(١٩) مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار ، ص ١٩٤.

(٢٠) مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٠٤،
ابن قتيبة الدينورى : عيون الاخبار ،ج ١ ، ص ٣٠٣

(كما كان لهؤلاء النقباء "نظراء وعددهم ١٢ ايضاً وهم نواب للنقباء يخلفونهم إذا ماتوا أو فصلوا أو تركوا.[٢١] وكان اختيار اثني عشر نقيبا اقتداءا بنقباء الرسول صل الله عليه وسلم بعد بيعة العقبة[٢٢].

٤- أما المرتبة الرابعة في مراتب الهيكل الوظيفي للجهاز الدعائي السري ، فكانت للعمال الذين يتألفون أيضًا من عدة مجموعات بلغ تعداد كل مجموعة سبعين عاملاً تابعين لأحد النقباء.

هذا ، وتتضح أهمية التنظيم للحركة العباسية من حرصها على وجود أتباع لها في كل بلد تقريبًا ، وأن يكون هؤلاء الأتباع من يحمل السلاح منهم أضعاف جند الأمويين[٢٣] .

أما عن الثقافة الدعائية التي كان يتمتع بها أفراد الجهاز السري للدعاية العباسية ، فيقال إنها كانت ترجع إلى وجود مدرسة للدعوة العباسية مسئولة عن إعداد الدعاة نفسيًا وثقافيًا وعسكريًا ، ويتضح ذلك من القدرات العسكرية الخلاقة والتعمق في العلوم الإسلامية ، كما كان لهؤلاء الدعاة قدرة بارعة على الدبلوماسية والدهاء ومقدرة على مداراة الأحوال ، واجتذاب الأنصار ومنطق في المخاطبة يتسم بالأدب والبلاغة ومراعاة مقتضى الحال[٢٤].

التنظيم المالى :

أدخل أفراد الجهاز الدعوى العباسى المال ضمن المنظومة الدعوية بوصفه أحد المرتكزات الأساسية التى تقوم عليها الدول ، فراحوا يجمعون المال بمختلف صوره سواء النقدية أم العينية فيرسلونه إلى إمام دعوتهم الذى يقوم بدوره على تصريفه لخدمة الدعوة بدولة البيت العباسى ، وقد رصد لنا المؤرخون المصادر المالية خلال فترة الدعوة وهي على ثلاثة مستويات :

أولها : طبقة الأثرياء والأغنياء من رجال الدعوة وما كانوا ينفقونه على إنجاح دعاياهم .

ثانيًا : التبرعات التى كان يقدمها كثيرٌ ممن استجابوا وآمنوا بالدعوة للرضا من آل محمد حسب الشعار الذى كان مطروحًا آنذاك .

أما ثالث المصادر المالية خلال فترة الدعوة فمتمثلة مما يُتحصل عليه من بيوت المال عقب ضم المدن الواقعة تحت سيطرة الدولة الأموية .

أولاً : فئة الأثرياء من كبار رجال الدعوة العباسية :

اشتمل الجهاز الدعائى العباسى على عدد من الأثرياء والأغنياء خاصة من أفراد الطبقة الأولى من النقباء والذين كانوا ينفقون الكثير من أموالهم لإنجاح الدعاية العباسية وسوف نذكر بعضهم نظرًا لكثرتهم وكثرة أعمالهم فعلى سبيل المثال تلك الضائقة المالية التى تعرض لها **محمد بن علي بن عبد الله بن العباس** فراح يشكوها إلى الخليفة **هشام بن عبد الملك** " (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م)" والذي لم يقبل شكواه نظرًا لتنامى إليه أخبار الدعاية للبيت العباسى فقرر الخليفة هشام فرض ضريبة تصل إلى مائة ألف درهم وبمجرد وصول هذا الخبر إلى رجال الدعاية العباسية فقام أحد الأثرياء منهم وهو **أبو موسى السرَّاج**[٢٥] الذى جمع " نفرًا من الشيعة ، ذوي يسار ، فانطلق بهم إلى **سالم** كاتب **هشام** ، فضمنوا ما على محمد بن على ، وجعلوا يؤدون

---

٢١ فاروق عمر فوزى ، الثورة العباسية : دار الشئوون الثقافية العامة :بغداد : ١٩٨٩: ص ٧٦

٢٢ فاروق عمر فوزى ، الثورة العباسية : ١٩٨٩: ص ٧٨

٢٣ مجهول : اخبار الدعوة العباسية ، ص ٢١٥-٢٢

٢٤ مؤلف مجهول : اخبار الدولة العباسية، ص٢٠٦-٢٠٧ ، ابن قتيبة الدينورى : عيون الاخبار ،شرحه وضبطه يوسف على الطويل ،دار المكتبة العلمية ، بيروت ١٩٨٩،ج ١ ، ص ٣٠٣

٢٥ عيسى ابن موسي السراج : من أهل الكوفة ورئيسا من رؤساء الشيعة، وكان موسرا يأتي بالسروج وآلتها نحو أصبهان والجبال والرقة ونصيبين وآمد ويجوب البلاد فيبيعها بها. مؤلف مجهول : اخبار الدولة العباسية ،ص٢٥٤

عنه الأول فالأول منه ... فلما أُدِّيت المائة الألف ، كُلِّم **هشام** فى **محمد بن على** ، فخَلَّى سبيله ، فرجع إلى الحمَيْمة " [٢٦] .

ويتضح لنا من تلك الرواية أمرين أولهما : أنه كان هناك عدد من رجال الدعوة العباسية يتمتعون بالثراء المادى ، حيث كانوا ينفقون على الدعوة منه . والأمر الثانى : أن رجال الدعاية العباسية كان لديهم تجارات واسعة ومنتشرة فى أرجاء العالم الإسلامى آنذاك [٢٧] ، مثال : **أبى موسى السرَّاج** الذى كان " موسرًا يأتي بالسروج وآلتها نحو أصبهان والجبال والرقة ونصيبين وآمد ويجوب البلاد فيبيعها بها " [٢٨] وكذلك أيضًا **بكير بن ماهان** الذى فى أول قبوله للدعوة العباسية أنفق كل ممتلكاته على النشاط الدعوى حيث كانت ثروته فى ذلك الوقت مكونة من " أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب " [٢٩] ثم عمل بتجارة العطور ، كما أنه قد ورث مالاً من أخيه [٣٠] فكان ينفق من تجارته ومن أرثه على الدعوة وأيضًا **أبو سلمة الخلال** والذى لُقب بوزير آل محمد ، حيث كان يتمتع بسعة المال الذى اجتذبه من بيع الخل ، فقد كانت له " حوانيت يباع له فيها الخل، وإنما سمي الخلال عند قتله بذلك " [٣١] وغيرهم كثيرون من رجالات الدعوة العباسية الذين تمتعوا بقدر كبير من الثراء مما أفاد الدولة الناشئة من أموالهم حيث كان المال الذي ينفقونه أحد المرتكزات التي قام عليها كيان الدولة العباسية .

ثانيًا : التبرعات المالية :

جاء المرتكز الثانى من المرتكزات المالية التى تم به تدعيم الدعوة العباسية ممثلاً فى التبرعات التى كانت تُجمع من الذين استجابوا للدعوة والتى كانت تبلغ الخمس [٣٢] من أموالهم بالإضافة إلى ما كان يُجمع من ذهبٍ وفضة وجواهر وثياب والتى كانت تُقدم إلى الإمام العباسى مباشرة إما فى مدينة الحميمة وإما فى موسم الحج وقد كان أول دفعة من هذه الأموال قد بلغت مئة وتسعين دينارًا ، مع طوقا من ذهب وثوبًا مرويًا من إحدى النساء وتدعى أم الفضل [٣٣] ، وقد أخذت الأموال تأتي تباعا إلى الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عن طريق **بكير بن ماهان** الذي لم يكن أداة اتصال بين الإمام **محمد بن علي** والدعاة فحسب بل كان وسيلة ارتباط مادي إذ كان هو من يحمل المال والمتاع المتجمع ممن استجاب للبيت العباسى ففى أواخر عهد الإمام **محمد بن علي** نجد أن **بكير بن ماهان** قد حمل له " أموال كثيرة وحلي وثياب " [٣٤] .

---

(٢٦) البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر : جمل من أنساب الأشراف : تحقيق : سهيل زكار ، رياض زركلى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ م ، ط١ ، ج٤ ، ص ١٥٢٦ ؛ مؤلف مجهول أخبار الدولة العباسية : ص ٢٥٤ ؛ حسين عطوان : الدعوة العباسية تاريخ وتطور ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ط٢ ، ص ٢٢٦

(٢٧) محمد الخضرى : الدولة العباسية : دار الفكر اللبنانى ، بيروت ، ١٩٩٤ م ، ط١ ، ص ١٥ .

(٢٨) أخبار الدولة العباسية : ص ٢٥٤ .

(٢٩) الطبرى : أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ج٧ ، ص ٢٥ ؛ ابن قتيبة الدينورى : الأخبار الطوال ، ص ٢٥٣ ؛ ابن الأثير : أبى الحسن على بن أبى الكرم : الكامل فى التاريخ : تحقيق : محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ م ، ط١ ، ج٤ ، ص ٣٧٠ ؛ عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول دراسة فى التاريخ السياسى والإدارى والمالى : دار الطليعة ،بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م ، ص ٢٣ ؛ السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول (دراسات فى تاريخ العرب) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ، ص ٢٣ .

(٣٠) أخبار الدولة العباسية : ص ١٩٤ وما بعدها .

(٣١) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٤٨ .

(٣٢) فاروق عمر فوزى : الثورة العباسية : دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨ م ، ط١ ، ص ٧٧ ؛ محمد زنبير : الدولة الإسلامية فى ظل الخلافة العباسية (عصر الخلفاء الكبار) ١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م : دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ م ، ص ٣٧ .

(٣٣) أخبار الدولة العباسية ، ص ١٩٦ .

(٣٤) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٣٧ ؛ البلاذرى : أنساب الأشراف ، ج٤ ، ص ١٥٧٥ .

ولما تولى **إبراهيم بن محمد بن علي** الإمامة أخذ المال يُحمل إليه من كل جهة ، فعقب أخذ **بكير بن ماهان** البيعة له من الدعاة نراهم يسارعون في دفع الخمس من أموالهم وأموال المستجيبين لهم [٣٥] كما كان المال يُحمل إلى **الإمام إبراهيم** فى مواسم الحج ، وكان المتولى لذلك **أبا سلمة الخلال** الذى تولى رئاسة الدعوة عقب وفاة **بكير بن ماهان** ، ففى عام ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م تلقى **الإمام إبراهيم بن محمد** مالا أثناء تواجده بمكة حمله إليه **أبا سلمة الخلّال** [٣٦] ، وفي عام ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م جاء كبار الدعاة ومن بينهم **أبى مسلم** إلى **إبراهيم الإمام** في موسم الحج حيث دفع إليه الدعاة مال بلغ " عشرين ألف دينار ومئتي ألف درهم وأوصلوا إليه كسى حملوها إليه " [٣٧] .

والأمثلة على الخمس مما كان يُجمع من المستجيبين للدعاية العباسية كثيرة إلا أنها تصب في المعنى نفسه وهو جمع الأموال من أجل خدمة الدعوة والدولة العباسية والتي كما سبقت الإشارة تُحمل إلى الإمام العباسى فيصرفها لخدمة دولته بحسب مقتضى الحال.

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا تم تقدير الخمس من الأموال التي تُحمل إلى الإمام العباسي؟ وأيضًا ممن كان يُجمع هذا الخمس من الأموال ويُحمل إلى الإمام العباسى؟ فعن تحديد مقدار الخمس كان الاستناد فيه لقوله تعالى : " **واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير** " [٣٨] .

وعلى الرغم من أن الآية قد حددت الخمس من الغنائم إلا أن آل البيت سواء أكانوا علويين أم عباسيين قد أعدوا انفسهم من ذوي القربى للنبي وعلى الرغم أيضًا من أن الخمس كان للنبي " وقد سقط بموته ، لأنه كان يأخذ بوصف الرسالة لا بوصف الإمامة بخلاف جمهور العلماء، وكذلك سهم ذوي القربى لأنهم كانوا يستحقونه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصرة له وبعد وفاته بالفقر لانقطاع النصرة " [٣٩] .

أما عن الذين كانوا يدفعون هذا الخمس للإمام العباسي فقد تمثلوا في : فئة المتعاطفين روحيًا مع قضية آل البيت في أحقيتهم فى الحكم والخلافة ، حيث بدأ ذلك التعاطف عندما تولى علي بن أبى طالب الخلافة عام ٣٥ هـ / ٦٥٦ م وكان تعاطف المسلمين آنذاك قائم على أساس من العقل والمنطق والعاطفة الدينية لآل البيت ورؤية المسلمين لحسن سياسية عليّ بن أبي طالب وولديه الحسن والحسين ، فلما توفي عليّ ، خلفه ابنه الحسن على إمامة المسلمين ، وما لبث أن تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ، وذلك بعد أن رأى بثاقب ناظريه ماضي أسرته وحاضرهم ومستقبلهم ، وأن الأمور لا تسير في مصلحتهم؛ لذا آثر التنازل طواعية لحقن دماء المسلمين. وقد سمي ذلك العام وهو ٤١هـ – ٦٦١م بعام الجماعة [٤٠] . وبعد ذلك ظل الفكر الشيعي طيلة عشرين عامًا قائمًا على العاطفة الدينية ومحبة آل البيت ، فلما أطل عام ٦١هـ بدأت فكرة التشيع لآل البيت تظهر من جديد على الساحة السياسية للمسلمين، وذلك بدعوة أهل العراق للحسين بن عليّ لمبايعته بالخلافة وإقصاء الأمويين عنها، إلا أن هذه الدعوة قد باءت بالفشل نتيجة لتفرق أهل العراق عن الحسين فور وصوله إليهم ، و هو ما جعله أمام صدام مسلح بينه

---

(٣٥) الطبرى : تاريخ الرسل ، ج٧ ، ص ٢٩٥ – ٢٩٦ ؛ عبد العزيز الدورى : العصر العباسى ، ص ٢٣ .

(٣٦) أخبار الدولة العباسية : ص ٢٤١ ؛ المقدسى : المطهر بن طاهر : البدء والتاريخ : مكتبة الثقافة الدينية ، (د . ت . ط) ، ج٦ ، ص ٦٢ ؛ عبد العزيز الدورى : العصر العباسى ، ص ٢٣ .

(٣٧) أخبار الدولة العباسية ، ص ٢٥٦ ؛ البلاذرى : أنساب الأشراف ، ج٤ ، ص ١٥٧٦ ؛ المقدسى : البدء والتاريخ ، ج٦ ، ص ٦٣ .

(٣٨) (الأنفال الآية ٤١).

(٣٩) عامر جلعوط : فقه الموارد العامة لبيت المال : مجموعهلادار ابي الفداء العالمية للنشر،حماة،سوريا،٢٠١٢، ص ٢٠١ .

(٤٠) إن أسباب تنازل الحسن بن علي عن الخلافة ، إنما ترجع إلى نظرته في أصحابه بأنهم ليسوا أهلا لنصرته أمام معاوية ؛ وذلك فيما بينوا في خطبته في أهل العراق عقب تنازله عن الخلافة مبررًا لهم بقوله : " يا أهل العراق ، أنه سخي بنفسي عنكم ثلاث : قتلكم أبي ، وطعنكم إياي ، وانتهابكم متاعي " .
-الطبري : تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ١٥٩.

وبين الجيش الأموي وهو في نحو سبعين من أهله ، فانتهت المعركة المعروفة بكربلاء(٦١هـ) بمقتل الحسين (رضى الله عنه وأرضاه) [٤١] على أيدي الجيش الأموي حيث بدأت الشرارة الأولى في تاريخ الحروب الشيعية، وكانت أولى ثورات الشيعة في تلك المرحلة ، ثورة (التوابين) [٤٢] التي اندلعت عقب مقتل الحسين بأربعة أعوام ، وحملت هذه الثورة طابع الدعاية الدينية ذات الطابع السياسي .

وقد باءت تلك الثورة بالفشل نتيجة لسوء الإدارة العسكرية ، وقد أعقبها العديد من الحركات التى نادت بأحقية آل البيت فى الحكم والخلافة إلا أنها جميعًا كانت تنتهى بالفشل ومقتل زعيمها العلوى .

وعندما رأى أبناء البيت العباسي أن أبناء عمومتهم العلويين على الرغم من تاريخ مسيرتهم الطويل، لم يحققوا أي شيء ملموس على أرض الواقع ، فقرر أبناء البيت العباسي وعلي رأسهم محمد بن على بن عبد الله بن العباس أن ينادى بأحقية ال البيت فى الخلافة معلناً أن ابن الحنفية قد تنازل له عن الامامة وذلك لانه لم يكن لديه وريث لذا بدأ محمد بن عليّ على الفور يضع خطة دعائية حرص فيها على إخفاء أطماع العباسيين في الخلافة ، فلم تكن البيعة تؤخذ بأسم العباسيين ، بل تحت هذا الستار البراق المبهم " الرضا من آل محمد " يعني لشخص معين من آل البيت يتفق عليه فيما بعد ، وكذلك سموا أنفسهم بالهاشميين ، وهي كلمة عامة تطلق على الشيعة عامة من آل البيت، وهذا الشعار كان من أهم الأساليب الدعائية إذ أنه من أدقها إحكامًا وأعلاها قدرًا وأكبرها خطرًا وأقواها أثرًا وأشدها سحرًا وأوسعها أثرًا ، وذلك بأنه كان يطابق أفكار المعتقدين بحق أهل البيت في الخلافة ، ويوافق آراءهم ، ويلبي رغباتهم ، ويحقق غاياتهم ، وهو يحرك عواطف المسلمين ويثير مشاعرهم ، ويحمل فريقا منهم على الانضمام إلى الدعوة ، ومؤازرة أصحابها بالمال الذى هو مقدار الخمس المحمول للإمام العباسى.

فعن النوع الأول: وهم المتعاطفون مع آل البيت نرى أن هؤلاء قد شكلوا قطاعًا كبيرًا من المستجيبين للدعاية العباسية وكان تعاطفهم نتاجًا للشعار السالف الذكر الذي بثه الجهاز الدعائي لكسب الأنصار والذي كان (الرضا لآل محمد)..

وقد تجلت تلك المؤازرة فى التضحيات المادية التى قدموها سواء أكانت بأنفسهم أو بأموالهم.

ثالثًا : بيوت المال:

جاء المصدر الثالث من المصادر المالية التى خدمت الدعوة والدولة العباسية فى مهدها من بيوت المال الأموية التى كان القادة العباسيون يصادرونها عقب استيلائهم على المدن التابعة للخلافة الأموية حيث كان الاستيلاء على بيت المال إحدى المهمات الأساسية التي حرص عليها القادة العباسيون حتى يستطيعون من خلالها الإنفاق على جندهم من جهة وبذل العطاء لأهالى تلك المدن المستولى عليها لاجتذابهم من جهة ثانية. ولفرض السيطرة السياسية والإدارية على المدينة المستولى عليها من جهة ثالثة فلقد تم السيطرة على جميع بيوت الأموال الواقعة في طريق الجيوش العباسية حتى العراق ، وفي العراق كانت الكوفة أولى المدن التى صودرت الأموال بها، حيث صدر الأمر من أبي سلمة الخلال عقب إعلانه قيام الخلافة العباسية رسميًا بالمسجد الجامع بأن يسيطر على بيت المال مباشرة وجميع الدور الرسمية مثل دار الطراز وجميع الخزائن

(٤١) لمزيد من المعلومات عن موقعة كربلاء واستشهاد الحسين يمكن الرجوع إلى :
الطبري : تاريخ الرسل ، ج ٥ ، ص ٤٧٠ و ما بعدها ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٤٦.

(٤٢) ثورة التوابين : عرفت هذه الثورة بهذا الاسم ؛ لأن الشيعة في عام ٦٥ هـ قد تلاقوا وندموا على ما فرطوا في حق الحسين وخذلانهم إياه وعدم إغاثتهم له حتى قتل بينهم ، وتابوا على ما فعلوا ، فسموا التوابين ، ثم تحالفوا على بذل نفوسهم وأموالهم في الأخذ بثأره ومقاتلة قتلته ، وإقرار الحق في نصابه . ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ١٧٩.

الأخرى وبالفعل ودخلت الكوفة إداريًا وسياسيًا ضمن فلك الخلافة العباسية وذلك عام ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م [٤٣].

أما بذل الأموال من البيوت المالية التي تمت مصادرتها فقد كان بهدف اجتذاب الأنصار لتثبيت دعامات الدولة الناشئة فى نفوس كبار الجند وصغارهم ، فعقب خُطبة وزير آل محمد وهو أبو سلمة الخلال التى أعلن فيها قيام الدولة العباسية وحذر كبار القادة من التراجع ، حيث أخذ يُمنيهم ببشائر الخلافة الجديدة والتى منها زيادة رواتبهم كلٌ على قدره ، فقال لهم : " إن أهل بيت اللعنة (يقصد الخلفاء الأمويون) كانوا يفرضون لجندهم في السنة ثلاث مئة درهم، وإني قد جعلت رزق الرجل منكم في الشهر ثمانين درهما، وسأخص قوادكم وأهل القدم والسوابق منكم بخواص سنية أجريها عليكم، لكل رجل بقدر استحقاقه، فأبشروا وقروا عينا، واحمدوا الله على بلائه عندكم، وكأنكم بإمامكم قد حل بين أظهركم، فيعطيكم أكثر مما تأملون. فكبروا وارتج العسكر بالتكبير. ثم تحول فعسكر بحمام أعين، وفرض للجند، فجعل رزق الرجل في الشهر ثمانين درهما، وأجرى للخواص كبراء القواد وأهل الغناء من النقباء وغيرهم ما بين ألف إلى ألفين، وخص من دونهم ما بين مئة إلى ألف " [٤٤].

هذه كانت المصادر الثلاثة للمال كما أسهم به من دور فى قيام الخلافة العباسية أثناء مرحلة الدعاية لها والتي استمرت نحوًا من ثلث قرن من عام ٩٨ هـ – ١٣٢ هـ / ٧١٨ – ٧٤٩ م .

– السياسة المالية للدولة الاموية وأثرها في سقوطها :

لم تكن الاسهامات المالية التي اسهم بها دعاة الدولة العباسية في سبيل اقامة دولتهم وحدها كافية في اسقاط الدولة الاموية بل ان الدولة الاموية نفسها قد أسهمت بسياستها المالية في سقوطها وذلك للضرائب الباهظة التي فرضوها علي المسلمون وغيرهم والتي كانت سببا رئيسا في تمني المسلمين زوال الحكم الاموي بل كان ايضا أحد اسباب انفصال بعض ولايات الدولة الاموية .

استخدم بعض خلفاء الدولة الاموية سياسة المالية خاطئة ارهقت رعاياها مما جعله يضجون بالشكوي اذ ان هذه السياسة المالية لا تتفق مع الشريعة الاسلامية ومن أمثال ذلك اخذ الحجاج بن يوسف الجزية ممن اسلم من الفرس والترك وهذا لطبية الحال يتنافي مع الاسلام الا ان الحجاج قد لجأ الي ذلك النهج بعد ان علم أن هؤلاء الذين اسلموا كان الهروب من الجزية هو السبب في اسلامهم كما ان عمالهم قد اوعزو اليه ان عدم اخذ الجزية من هؤلاء المتأسلمين سوف يضر بالخزانة[٤٥] لذا فرض الحجاج الجزية ، مما أغضب من أسلم فشكي أحدهم الي الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ –١٠١ هـ) (٧١٨ – ٧٢٠ م) ، حيث قال له " أمير المؤمنين عشرون ألفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج " [٤٦].

فأصدر عمر بن عبد العزيز اوامرة في رفع الجزية عمن أسلم لكن هذه الاجراءات الايجابية ما لبثت أ، تمت انهاء العمل بها عقب تولية يزيد بن عبد الملك عرش الخلافة من (١٠١– ١٠٥ هـ ، ٧٢٠ – ٧٢٥ م) نجده " قد عمد الي كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لم يوافق هواه فرده" [٤٧] بما في ذلك ما يتعلق بالضرائب فأعيدت الجزية علي الموالي ، فنشبت الثورات عام ١٠٢ هـ ، ٧٢١م ، وكانت

(٤٣) أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٦٨ ؛ محمد الخضرى : الدولة العباسية : ص ٢١ .

(٤٤) أخبار الدولة العباسية ، ص ٣٧٦ ؛ محمد عبد الحفيظ المناصير : الجيش فى العصر العباسى الأول : دار مجدلاوى ، عمان ، ٢٠٠٠ ، ط١ ، ص ٣٤٠ .

(٤٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، رحمون عبد القادر : السياسة المالية للدولة الاموية وأثرها في سقوطها : رساله ماجستير ، اشراف : بحاز ابراهيم بكير كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعه الامير عبد القادر ، قسطنينة ، ٢٠٠٩ ، ٢٠١٠ ، ص ٢٢ . ٦/ ٦١٧ .

(٤٦) الطبري : تاريخ ، ٥٥٩/٦ ، ابن الاثير : الكامل ، ٣٢١/٤

(٤٧) ابن الاثير : الكامل ، ٢٣٢/٤

ثورة اهل السغد [٤٨] من أخطر الثورات ضد الدولة الاموية وعندما تولي أشرس بن عبد الله عام (١٠٩ هـ ، ٧٢٧ م) وصل بلاد ما وراء النهر ، فقام بالغاء الجزية عمن أسلم من الموالي ، فقال لاصحابه " أبغوني رجلا له ورع وفضل أوجهه الي من وراء النهر فيدعوهم الي الاسلام ، فأشاروا عليه بأبي الصيداء صالح بن طريف ، مولي بن بني ضبة ، فقال : لست بالماهر بالفارسية ، فضموا معه الربيع بن عمران التميمي فقال أبو الصيداء : أخرج علي شريطة ان من أسلم لم يؤخذ منه الجزية فانما خراج خراسان علي رؤوس الرجال ، فقال أشرس : نعم ، قال ابو الصيداء لاصحابه : فاني اخرج فان لم يف العمال اعنتموني عليهم ، قالوا : نعم ".[٤٩]

الا أن الدهاقين كانوا يستفيدون من الوضع المالي الذي كان قائما وقفوا في وجه هذا الاصلاح المالي الذي هدد مصالحهم فكتب غوزك أمير سمرقند الي أشرس " أن الخراج قد انكسر " فكتب اشرس الي بن العمرطة " ان في الخراج قوة للمسلمين ، وقد بلغني ان اهل السغد ، وأشباههم لم يسلمو رغبة ، وانما دخلو في الاسلام تعوذا من الجزية ، فانظر من اختتن وأقام الفرائض وحسن اسلامه وقرأ سورة من القراءن فارفع عنه خراجه "[٥٠] فجاء دهاقين بخاري الي اشرس فقالوا " ممن تأخذون الخراج وقد صار الناس كلهم عربا " ، فكتب أشرس من العمال " خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه" ، فامتنع الموالي عن اداء الخراج وقد شكل هؤلاء الموالي قاعدة الثورة العباسية التي وجدوا فيها هدفهم في التحرر من سياسة الدولة الاموية المالية ضدهم .

اذا ما تركنا المشرق وانتقلنا الي بلاد المغرب نجد أن سياسة الدولة الاموية المالية تجاه سكان المغرب من البربر قد أثارت حفيظتهم وذلك بتهديد الإدارة الحاكمة لثرواتهم ومصدر معيشتهم ، فقد فرض الولاة عليهم سياسة مالية جائرة ، فأرهقوا البربر بالمغارم والجبايات ، واعتبروا بلادهم (دار حرب) حتى بعد اعتناقهم الإسلام ، " فقد طبقت السياسة التي استنها الحجاج في كافة الولايات الإسلامية ؛ لأنها ضمنت للخلافة مزيدًا من الأموال ، وتقضي هذه السياسة بعدم إسقاط الجزية عن الموالي أسلموا أم لم يسلموا ، فضلاً عن إرهاق الفلاحين بمزيد من الضرائب غير ضريبة الخراج التي ضوعفت في بعض الأحيان "[٥١]. فكان كل فرد ملزمًا بأن يبين قيمة كسبه طيلة العام ، فيترك له الوالي قليلا من الكسوة والغذاء وبعض النفقات الضرورية ، ثم يستولى على ما بقى باسم بيت المال ، ناهيك عن أطماع الولاة والعلل الخاصة ، وإسرافهم في طلب الأموال بأوجه غير مشروعة ؛ إرضاءً للخلافة من ناحية ، وكسبًا للأتباع والأنصار ، وإشباعًا لنهمهم من ناحية أخرى [٥٢]. " كما هددت الإدارة المغربية البربر في ثرواتهم ومصادر معيشتهم الأساسية وهي الأغنام والماشية ، فكان الولاة يتنافسون في إرضاء الخلافة بكل ثمين ، فكانوا يرسلون إليهم الأردية العسلية التي يزين بها الخلفاء ملابسهم ، وكان يتكلف ذلك أن تذبح آلاف الشياة من أجل ذلك الغرض ، فكما يروي المؤرخون أن عمال ابن الحبحاب كانوا

---

(٤٨) السغد من بلاد ما وراء النهر ، ناحية كثيرة المياة نضرة الاشجار متجاوبة الاطيار مؤنقة الرياض والازهار ، ملتفة الاغصان خضرة الجنان تمتد مسيرة خمسة ايام لا تقع الشمس علي كثير من اراضيها ، ولا تبين القري من خلال اشجارها ، وفيها قري كثيرة بين بخاري وسمرقند ، وقصبتها سمرقند .
الحمودي: شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧ ، مادة "السغد " ٣/٢٢٢ -٢٢٣ .

(٤٩)ابن الاثير : الكامل ، ٤ج /ص ٣٨٤ . رحمون عبد القادر : السياسة المالية واثرها علي سقوطها ، ص ١٧٠

(٥٠) الطبري : تاريخ ٥٥/٧ ، ابن الاثير الكامل ، ٣٨٤/٤ ، رحمون عبد القادر : السياسة المالية واثرها علي سقوطها ، ص ١٧٠

(٥١) محمود إسماعيل : التفسير الاجتماعي لثورة المغاربة ،أشغال المؤتمر الاول ، القسم الاول بتاريخ المغرب العربي وحضاراته ، تونس ، ١٩٧٩م . ص ١٥٧.

(٥٢) (٦) فان فلوتن : السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن ، محمد زكي إبراهيم ، ص ٢٨ ، ٢٩

يعمدون إلى الماشية ، فجعلوا يبقرونها بحثًا عن السخال ، يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد [٥٣]".

وأمام تلك الانتهاكات لم يكن المغاربة ؛ ليقفوا مكتوفي الأيدي وثرواتهم وحرياتهم تضيع بحجة أوامر الخلافة ، فأخذ الرأي العام داخل المجتمع المغربي يزداد غليانًا حتى أصبحت الثورة أمرًا حتميًا لا مفر منه لتغيير تلك الأوضاع السيئة ، إلا أن المغاربة أرادوا معرفة رأي الخلافة في أحوالهم قبل أن يقوموا بعمل يشين ثورتهم ، فتباحثوا فيما بينهم ، واستقروا على انتخاب وفد منهم يسير نحو دمشق ؛ لعرض شكواهم على الخليفة هشام بن عبد الملك ، فقد نقل لنا الطبري أخبار تلك السفارة بقوله :

" ... فما زال أهل المغرب من أسمح أهل البلدان ، وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك ، فلما دب إليهم أهل العراق ، واستثاروهم ، قالوا : إنا لا نخالف الأئمة بما تجني العمال ، ولا نحمل ذلك عليهم ، فقالوا لهم : إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك . فقالوا لهم : لا نقبل ذلك حتى نخبرهم . فخرج ميسرة المضغري في بضعة عشر إنسانًا حتى قدم على هشام . فطلبوا الإذن ، فصعب عليهم ، فأتوا الأبرش ، فقالوا : أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده ، فإذا أصاب نفلهم دوننا ، وقال : هم أحق به ، فقلنا : هو أخلص لجهادنا . وإذا حاصرنا مدينة قال : تقدموا ، وأخر جنده . فقلنا : تقدموا ، فإنه ازدياد في الجهاد ، ومثلكم كفي إخوانه فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم ، ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا ، فجعلوا يبقرونها عن السخال ، يطلبون الفراء الأبيض لأمير المؤمنين ، فيقتلون ألف شاة في جلد ، فقلنا : ما أيسر هذا لأمير المؤمنين ، فاحتملنا ذلك ، وخليناهم وذلك ، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا ، فقلنا : لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ، نحن مسلمون . فأحببنا أن نعلم ، أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا ؟ قال الأبرش : أفعل . فلما لم يفعل أطال عليهم ، ونفذت نفقاتهم ، كتبوا أسماءهم في رقاع ورفعوها إلى الوزراء ، وقالوا : هذه أسماؤنا ، وأنسابنا ، فإن سألكم أمير المؤمنين عنا فأخبروه . ثم كان وجههم إلى إفريقية [٥٤]" . ورجعت السفارة إلى المغرب دونما أن تحقق مكسبًا ملموسًا يرفع عنهم الضغط الواقع عليهم من قبل ولاتهم ، فلما تأكد البربر أنه لا جدوى من شكايتهم للخلافة ، قرروا أن يعلنوها ثورة شعواء على ولاة المغرب ، إلا أنهم كانوا يتحينون الفرصة لإعلان تلك الثورة ، حتى يكون لها مبرراتها التي يتذرعون بها إذا ما حاجتهم الخلافة .

هذه كانت الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كان يعاني منها المجتمع المغربي ، تحت تأثير الإدارة الحاكمة لهم خلال العقدين الأولين من القرن الثاني الهجري ، وهذه الظروف كانت بمثابة فرصة لا يمكن تفويتها على كل تيار سياسي أو مذهبي بحيث يستغلها ؛ لينفذ من خلالها إلى قلب ذلك المجتمع الواقع تحت مثل هذا الضغط ويحقق من خلالها أهدافه بشتى السبل .

الخاتمة

توصل الباحث من خلال دراسته لفترة الدعوة العباسية وأثر المال بها إلى عدد من النتائج لعل من أهمها :

أولاً : على الرغم من كثرة المصادر التاريخية التى تحدثت عن قيام الخلافة العباسية منذ الدعوة لها وحتى إرساء قواعدها إلا أن هذه المصادر قد تناولت المال ودوره فى قيام الخلافة العباسية بشيء مقتضب من المعلومات والتى لم توصل الباحث إلى أقصى ما يتمناه فى إبراز المال

---

(٥٣) (٧) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص ٢٦٤ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب ، ج١ ، ص ٥٢ ؛ ابن خلدون : العبر ج٤ ، ص

(٥٤)(٨) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ ، ص ٢٢٤ . ؛ نقلًا عن عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٢١٧ . ؛ وكذلك أيضا : محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب ، ص ٦٣.

ودوره خلال فترة الدعوة ، وإن المعلومات القليلة التى قدمتها المصادر كانت بمنزلة النذر اليسير للبحث .

ثانيًا : إن الإيمان بفكرة ما أو قضية يجعل أهلها يفنون أنفسهم وما يمتلكون فى سبيل إنجاح وإنجاز هذه الفكرة أو القضية وقد تجلى ذلك فى بذل كبار رجال الدعوة العباسية لأنفسهم وأموالهم حتى يؤدوا ما عليهم من حق لآل البيت ، هذا بالإضافة إلى عموم المسلمين الذين أخذتهم العاطفة الدينية فبذلوا الخمس من أموالهم لآل البيت .

ثالثًا : أن المال إنما يُعد قوة ذهبية يستطيع صاحبها التأثير فى الفرد أو الجماعة إيجابًا أو سلبًا إما بالعطاء أو المنع أو المصادرة للممتلكات ، والشيئ السلبى كان هو أحد العناصر أو الأسباب التى أسقطت الخلافة الأموية لما فرضته من ضرائب باهظة على الموالى مما جعل سياستها المالية مجحفة بحقوق الرعايا فجعلتهم يتجهون سياسيًا وروحيًا إلى آل البيت لعلهم يجدون فى نصرتهم التخلص من هذه السياسة المالية الباهظة .

رابعًا : أنه لا غنى لفرد أو جماعة عن المال أيًا كانت صورته ، فالفكرة وإن كانت جيدة إلا أن الفرد أو الجماعة لا تستطيع تحقيقها إلا بمجموعة من السُبُل والتى من بينها المال وإن قلّ .

خامسًا : أن المال يُستخدم فى تثبيت الدعائم المطلوبة فى النفوس المستهدفة لإنجاح الأفكار المرادة على أكمل وجه .

قائمة المصادر والمراجع

- اولا : قائمة المصادر:

١- ابن الأثير : أبى الحسن على بن أبى الكرم : الكامل فى التاريخ : تحقيق : محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ م ، ط١ ، ج٤ .

٢- البعلـــــــى : الإمام أبى عبد الله شمس الدين محمد بن أبى الفتح البعلى الحنبلى : المصطلح على أبواب المقنع : المكتب الإسلامى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ م .

٣- البلاذرى : أحمد بن يحيى بن جابر : جمل من أنساب الأشراف : تحقيق : سهيل زكار ، رياض زركلى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ م ، ط١ ، ج٤.

٤- الحفصكى : محمد علاء الدين : الدر المختار : دار الفكر ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ ، ط٢.

٥- السيواسى : كمال الدين محمد بن عبد الواحد : شرح فتح القدير : دار الفكر ، بيروت ، (د . ت) ، ط٢ ، ج٧.

٦- الإمام شمس الدين السرخسى : المبسوط : دار المعرفة ، ج١١ .

٧- الطبـــرى : أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ج٧.

٨- على الصعيدى المالكى : حاشية العدوى : دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٢ هـ ، ج٢.

٩- ابن فارس : أبى الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : مقاييس اللغة ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠١ م .

١٠- ابن قتيبة الدينورى أبو محمد بن عبد الله بن مسلم : الأخبار الطوال ، عيون الاخبار : شرحه وطبطبة يوسف علي الطويل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ج٢ ، ص ٣٢٠ .

١١- المرداوى على بن سليمان : الإنصاف : دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، (د . ت) ، ج٤.

١٢- المعجم الوسيط : إخراج إبراهيم أنيس وآخرون ، إشراف حسن على عطية ومحمد شوقى أمين ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ط٢ ، ج١ .

١٣- المقدسى : المطهر بن طاهر: البدء والتاريخ : مكتبة الثقافة الدينية ، (د . ت . ط) ، ج٦.

١٤- ابن منظور : أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصارى الخرجى المصـــرى : لســـان العـــرب : تحقيـــق عبـــد العظـــيم الشـــناوى ، دار المعـــارف ، القـــاهرة ، (د . ط . ت) ، ج ٤٨ .

١٥- نزيه حماد : معجم المصطلحات المالية والاقتصادية فى لغة الفقهاء : دار القلم ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ط١ .

١٦- النـوبختي : ابـن محمـد الحسـن بـن موسـى النـوبختى ، ت ٣١٠ هـ ، صححه وعلق عليه محمد صادق آل بحر العلوم فرق الشيعة ، طبع بالمطبعة العيدرية ، النجف سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م .

١٧- الطبـــرى : أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الرسل والملوك : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ج٧.

١٨- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الخصومي ، ١٤٠٦م : ديوان العبر وكتاب المبتدأ والخبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٣ .

١٩- ابن عذاري ، أبو العباس أحمد بن عذاري المراكشي ١٢٩٥ م : البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

- ثانيا : قائمة المراجع :

١- أحمد الحجى الكردى : فقه المعاوضات :

٢- أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٧م .

٣- حسن أحمد محمود ، أحمد إبراهيم الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، د . ت ، ط ٥ .

٤- حسين عطوان : الدعوة العباسية – مبادئ وأساليب ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ط٢ .

٥- السيد عبد العزيز سالم : العصر العباسى الأول (دراسات فى تاريخ العرب) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية .

٦- عامر محمد نزار جلعوط : فقه الموارد العامة لبيت المال : دار أبى الفداء العالمية ، حماة ، سوريا ، ٢٠١٠ .

٧- عبد العزيز الدورى : العصر العباسى الأول دراسة فى التاريخ السياسى والإدارى والمالى : دار الطليعة ،بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م .

٨- فاروق عمر فوزى : الثورة العباسية : دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٨ م، ط١ .

٩- مبارك ابن سليمان : أحكام التعامل فى الأسواق المالية المعاصرة ، كنوز إشبيليا ، الرياض ، ٢٠٠٥ ، ط١ ، ج١ .

١٠- محمد رأفت سعيد : المال ملكيته واستثماره وإنفاقه : دار الوفاء ، ٢٠٠٢ م ، ط١ .

١١- محمد زنبير : الدولة الإسلامية فى ظل الخلافة العباسية (عصر الخلفاء الكبار) ١٣٢ – ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ – ٨٤٧ م : دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ م .

١٢- محمد منير حجاب : الدعاية السياسية فى العصر الأموى .

١٣- محمد الخضرى : الدولة العباسية : دار الفكر اللبنانى ، بيروت ، ١٩٩٤ م ، ط١ .

١٤- محمد عبد الحفيظ المناصير : الجيش فى العصر العباسى الأول : دار مجدلاوى ، عمان ، ٢٠٠٠ ، ط١ .

١٥- الطرطوشي : أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف : سراج الملوك : تحقيق جعفر البياتي ، لندن ، ١٩٩٠م

١٦- عبد اللطيف حسني : المال و السلطان من أجل ترشيد مالية الدولة السلطانية ، مقال بمجلة الإجتهاد ، العددان ٣٤ – ٣٥ ، السنة التاسعة ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م .

١٧- مؤلف مجهول : أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده ، تحقيق : عبد العزيز الدورى ، عبد الجبار المطلبى ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧١م .

١٨- محمود إسماعيل : التفسير الاجتماعي لثورة المغاربة ،أشغال المؤتمر الاول ، القسم الاول بتاريخ المغرب العربي وحضاراته ، تونس ، ١٩٧٩م . ص ١٥٧.

١٩- نبيلة حسن محمد : فى تاريخ الدولة العباسية ، دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية ، ١٩٩١م.